# الفصل السادس
# الإخوانيات

تعتبر الإخوانيات من الفنون الشعرية التي شاعت في العصر العباسي وبخاصة المتأخر منه وهو " يصور العلاقات الاجتماعية بين الشعراء ، وممدوحيهم أو بينهم وبين أصدقائهم وأحبائهم ففي التهنئة والاعتذار ، وفيه العتاب والشكوى وفيه الصداقة والود ، وما إلى ذلك من المعاني الاجتماعية الواسعة التي تربط بين الناس بعضها بعضا ، ولذلك غلب عليه التأنق في المعنى ، واصطناع العاطفة التي تكون صادقة تارة وكاذبة تارة أخرى "[1] .

وشعر الإخوانيات كثير في شعر العماد ؛ لحسن الصلة وجميل المودة بينه وبين أصدقائه ورؤسائه ، فمن أصدقائه الشعراء : أبو الفرج العلاء بن علي الواسطي المعروف بابن السوادي . قال العماد في ترجمته [2]: " بيني وبينه في النظم والنثر مداعبات ومكاتبات وما حضرت واسط إلا وجدته سابقًا إلى الزيارة شائقًا بحسن العبارة ، لطيف الاستعارة " .

كتب أبو الفرج قصيدة إلى العماد يطلب فيها التوسط في إعادة الغرفة التي أخذت منه بعد منافرة بينه وبين الصوفية ، فأجابه العماد[3] :

اِسْمَعْ- هُدِيتَ- نَصِيحَتي ... فالنّصْحُ لي بالصّدقِ يَشْهَدْ

عُدْ وارْضَ عَنْ أهلِ الرّبَا ... طِ وارضهمْ فالعوْدُ أحْمَدْ

---

(1) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين : د . مصطفى الشكعة ، عالم الكتب ، 1981م ، ص 382 .
(2) الخريدة ، قسم العراق ، 1/4 ص370 .
(3) الديوان ص121. (4) الخريدة ، قسم العراق ، 2/3 ص54 .



obeikan.com

لاطِفْهُـــــمُ فـــــالمرءُ يَبْـــــــ لـــعُ بـــالتلطّفِ كـــلّ مَقْصِـــدْ

إنْ كَلفـــــــوكَ غَرَامَـــــــةً فـــابْتَعْ لشـــيخِ القـــوْمِ مِقـــوَدْ

واطلـــــبْ جِـــوارَ بريكـــــةٍ فالـــدّارُ بـــالجيرانِ تَحْمَـــدْ

وكـان الشـاعر علـم الـدين علـي بـن إسماعيـل الجـوهري مـن أصـدقاء العمـاد ومحبيـه ، قـال في ترجمتـه[1] : " مـن ظرفـاء بغـداد ، وفضـلائها ، ومـن متميزيهـا وكرمائها ، وقد دارت بينه وبيني صداقة صارمة ، وأخوة صافية ، وبيننا مراسلات في الشوق ، وإخوانيات يقطر منها ماء الصفاء ، ويؤنق بزهرها روض الوفاء " .

ومـن تلـك الإخوانيـات الظريفـة واللطيفـة قصـيدة أرسـلها العمـاد جوابًـا علـى مقطوعـة كـان قـد بعثهـا علـم الـدين لصـديقه علـى تـأخر رسـائله ، وانقطـاع أخباره ، أولها[2] :

بانقيـــــــادي لمـــــــرَادِكْ وَبِصِـــــــــــــدْقي في وِدَادِكْ

وبسُـــــقياكَ مِـــــن الحِفـــــ ظِ عُهـــــــودي بعهـــــــادِكْ

لا تحمِّـــــلْ قلـــــبيَ المشْـــــ ـــــتاقَ أثقَـــــالَ بِعَـــــادِكْ

مَـــا عَـــلىَ الوجْـــدِ فُـــؤادي صَـــــابراً مثـــــلَ فـــــؤَادِكْ

ولقَـــدْ أضْـــحَى عَلـــى رُغـــ مِ العِـــدّا طَـــوْعَ قِيـــادِكْ

واعْتِقَـــــادِي في وِدَادِيـــــ ـــــكَ صَـــــحِيحٌ كاعتقـــــادِكْ

ومن أصدقائه المخلصين الشاعر أبو عبد الله الحسين بن عبد الباقي ، وهو ابن أخـت الشـاعر المشـهور ابـن المعلـم الهرثـي ، وقـد تعـرف عليـه في واسـط وقـال

(1) الديوان ص 321 – 322 .

في ترجمته[1] : " صديق لي صدوق ، وشقيق شفيق ، مساعدي كساعدي ، ومرافقي كمرفقي ، وأخي المتوخي مراري ، وحميمي الحامي ، ودارمي وناصحي في الملمات وناصري ، ونائبي في دفع النائبات ومؤازري " .

لم ينس العماد فضله ووفاءه ، وكتب إليه من الشام قصيدتين ، أثنى فيهما عليه ، وذكر طيب عنصره ، وخالص جوهره ، وصفاء مودته ، قال في خاتمة إحداها[2] :

كَمْ غُصتُ حَتى حزتُ وُدّكَ أبْحُرَاً ... ولربّما حَارَ اليَتِيمةَ غَائصُ[3]

سَأَرُمُّ نَحْوَكَ للّقاءِ قلائصاً ... يا خيرَ مَنْ رُمّتْ إليهِ قلائصُ[4]

كتب شاعرنا إلى بعض أصدقائه في مرعش :

ولَيسَ سِوَى ذِكرِكُمْ مُؤْنِسي ... ولكنّ بُعْدِكمُ مُوْحِشي

بَدَلتُ لكمْ مُهْجَتي رَشْوَةً ... فَحَاكمُ حُبّكمُ مُرْتَشِ

وكيفَ الى وَصْلِكمْ أهتَدِي ... وَحَطبُ فراقكمُ مُدْهِشي

وكيفَ يَلَذّ الكَرَى مُغْرَمٌ ... بنارِ الغَرَامِ حَشَاهُ حُشي

بِمَرْعَشَ أبغِي وَبَلُّوطها ... مُضَاهاةَ جِلّقَ وَالمشْمِشِ[5]

تتجمع في الإخوانيات مشاعر جمة بعد أن ترتفع الكلفة ، وتنطلق النفوس على سجاياها ، فتفيض بشتى المعاني ، وأروع الصور ، فهناك المدح المستعذب والغزل المستطرف الذي تهتز له النفوس ، كما يلاحظ في قصيدته المرسلة إلى سبط

(1) الخريدة ، قسم العراق 4 / 2 : 450 .
(2) الديوان ص 259 .
(3) اليتيمة : الدرة الفريدة التي لا نظير لها .
(4) القلائص : النياق .
(5) الديوان ص 247 .

بـن التعاويـذي ، قـال العمـاد : كتـب سـبط ابـن التعاويـذي الكاتـب والشـاعر من بغداد[1] إليّ رسالة بالشام في طلب فروة ، وضمنها شعرًا ، ومعاني حلوة ، وذلك في جوابها هذه الأبيات ، وأنفذتها مع الفروة :

بأبـــي مُعْتَـــدِلُ القَـــا ... مـــةِ في عِطْفَيْـــهِ نَشْـــوَهْ
حَـــاكمٌ في مُهَـــجِ العُشّـــ ... ـــاقِ لا يَقبَـــلُ رِشْـــوَهْ
مُتَعَـــدٍ أوَ مَـــا يَخْـــ ... ـــشَى مِـــنِ المظلـــومِ دَعْـــوَهْ؟
شِبْـــهُ رِئـــمٍ غُـــصْنُ بـــانٍ ... بَـــدْرُ دَجْـــنٍ شَـــمْسُ ضَـــحْوَهْ
فيـــهِ تِيـــهٌ وَدَلالٌ ... ولـــهُ لِـــينٌ وَقَسْـــوَهْ[2]

وتتداعى المعاني وتتابع في نسق جميل في وصف جمال الحبيب ومحاسنه ويتخلص إلى ذكر الأيام التي خلت – وهو في أفضل وأهنأ عيش وأرغده – بجوار إخوانه وأصدقائه على ضفاف دجلة :

آهٍ! والَهْفـــي علـــى عَيْـــ ... ـــشٍ مَضَـــى في دَارِ عَلْـــوَهْ
وزمـــانٍ كـــدّرَ الهجْـــ ... ـــرَانُ بعـــدَ الوَصْـــلِ صَـــفْوَهْ
وكـــرامٍ صَـــيّرَتْهمْ ... نِسْبَـــةُ الآدابِ إحْـــوَهْ
حـــينَ كـــانَ الـــدّهرُ للعَفْـــ ... ـــلةِ عَـــنْ قصْـــدِي بِنَجْـــوَهْ
حـــينَ لم أعقِـــدْ ولم أحـــ ... ـــلُلْ لغـــيرِ الحـــبّ حَبْـــوَهْ
أبْـــدُلُ النّـــرْوَةَ للحَمْـــ ... ـــدِ فـــإنّ الحمْـــدَ ثـــرْوَهْ
رَافـــلاً مِـــنْ مَلْـــبسِ العيْـــ ... ـــشةِ في أبهـــجِ صَـــفْوَهْ

(1) أبو الفتح محمد بن عبد الله البغدادي ، المعروف بسبط ابن التعاويذي . شاعر كبير ، وله ديوان شعر مطبوع ، ت583هـ . انظر وفيات الأعيان 4 / 466 .
(2) الديوان ص 438 .

حُـــقّ يـــا قلـــبُ علـــى نَـــدْ  كـــــــــارِهِمْ أنْ نَتَـــــــــأوّهْ
يـــــا أخـــــلاي بـــــ "بغـــــدا  دَ"سُـــــقِيتُمْ كـــــلّ غُـــــدْوَهْ
وأمِنْـــتُمْ نائـــبَ الـــدّهـــــ  ـــــرِ ونِلْـــتُمْ كـــلّ حُظـــوَهْ
مـــــا تُسَـــليني عَـــــنْ "دجـــــ  ـــــلةَ" "جَـــيْرونٌ" و"رَبْـــوَهْ"[1]

ويفتخر بأبي الفتح وهو سيد أهل الفضل ويعتبره قدوة[2] :

يـــا أبـــا الفتـــحِ الـــذي أضـــ  ـــــحَى لأهـــلِ الفَضْـــلِ قـــدْوَهْ
والـــــذي حَـــلّ مِـــنَ العَلْـــ  ـــــياءِ في أسْمَـــــقِ ذِرْوَهْ
وَهُـــوَ في الشِّـــعرِ وفي العِلْـــ  ـــــمِ كحَســـانٍ وعُـــرْوَهْ[3]

كان شاعرنا يطارح إخوانه الأدباء بالألغاز ، ويتخذها وسيلة للتسلية التفكه والرياضة الذهنية ، وقد صرح بذلك في مطلع إحدى مقطوعاته فقال :

وكنا سائرين في رفقة من أهل الأدب ، فغير بنا مرموق في صورة ملك اسمه شاه ملك ، فاقترح علي لغز في اسمه ، فارتجل قائلا :

اســـمُ مَحْبُـــوبي سُدَاســـيٌّ إذا  سَـــقَطَ الثّلـــثّ فَعَكـــسُ الكِلَمَـــهْ
وإذا قُـــدّمَ ثـــاني شَطْـــرِهِ  فهـــوَ سُـــلطانٌ لنـــا ذو عَظَمَـــهْ
وَمَـــتى يَنْقِـــصُ ثانيـــهِ فـــلا  نَقْـــصٌ يبـــدو في بنـــاهُ المحْكَمَـــهْ
عَـــرَبيٌّ عَجَـــميّ نِصْفَـــهُ  كلـــهُ مَعَـــنىً لِمَـــنْ قـــدْ فَهِمَـــهْ
وإذا سَاهَـــمَ في تَصْحِيفِـــهِ  لـــكَ باقيـــهِ فـــرُمْ أنْ تَفْهَمَـــهْ

(1) الديوان ص 439 – 440 .
(2) الديوان ص 441 .
(3) عروة بن الزبير بن العوام القرشي ، أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، كان عالمًا صالحًا كريمًا ، ولد 32هـ، وتوفي 193هـ ( صفة الصفوة 2 : 47 ) ، انظر:( وفيات الأعيان 2 : 255 ) .

وَهُـــوَ إنْ شَاءَهـــمُ لكنّـــهُ  فيـــهِ إيضـــاحٌ لِـــهَذِي المُبْهَمَـــهْ[1]

ومن الألغاز أيضًا التي قالها في " كوز الفقاع " للحكيم أبي العلاء محفوظ بن المسيحي بن عيسى النصراني النيلي الطبيب ، قوله :

ماصُـــورَةٌ مَـــا مثلُهـــا صُـــورَهْ  كأنهـــا في العُمْـــقِ مَطمُـــورَهْ؟
تُمَطـــرُ للـــريّ وَمَـــنْ دَارأى  مَطمُـــورَةٌ للـــريّ مَمْطـــورَهْ؟
مَنْكوحـــةٌ مَـــا لَـــمْ تَضَـــعْ حَمْلَهـــا  مَسْـــدُودَةُ الأنفـــاسِ مَحْصُـــورَهْ
محـــرورةُ القلـــبِ، ولكنّهـــا  مَضْـــرُوبةٌ بـــالبرْدِ مَقْـــرُورَهْ
كأنّمـــا النّـــارُ بأحشَـــائِهَا  علـــى اشْـــتِدَادِ البَـــرْدِ مَسْـــجُورَهْ
تظَـــلّ مُلقـــاةً علـــى رأسِـــهَا  حَمّـــارَةٌ تُحْسَـــبُ مَحْمُـــورَهْ[2]

ويعمي الشاعر ويبهم ، وكأنه يريد اختبار صاحبه ، فيقول في خاتمتها :

فيـــاحَليفَ المـــأثُرَاتِ الـــتي  أضْـــحَتْ لأهـــلِ الفَضْـــلِ مَشْـــهُورَهْ
أنعِـــمْ وَعَجّـــلْ حَـــلّ إشْـــكَالِها  فهـــيَ لـــدَى فَضْـــلِكَ مأسُـــورَهْ[3]

وكتب إلى بعض معارفه ، قائلا :

قَـــدْ نَزَلنّـــا في جِـــوَارِكْ  وَحَللنـــا قـــرْبَ دَارِكْ
وَسَـــرَيْنَا في الـــدّيَاجي  فَهَـــدَانا ضَـــوْءُ نَـــارِكْ
فَئَـــدَارَكْ أمْرَنَـــا اليـــو  مَ بطـــولٍ مُئَـــدَارِكْ
وَنَفَـــرّدْ باغْتِنَـــامِ الشّـــ  ـــرِمِنْ غـــيرِ مُشَـــارِكْ[4]

وإذا تحدث شاعرنا في الأمثلة إلى من يماثله ويشابهه ، فإن هناك أمثلة يتحدث فيها إلى من يفوقه من ذوي السلطان . والشاهد على ذلك أن نورالدين

(1) الديوان ص 403 .
(2) الديوان ص 210 .
(3) الديوان ص 212 .
(4) الديوان ص 320 .

محمود زاره في مدرسته ، وقبل انصرافه قدم العماد له هدية بسيطة ، وهي عبارة عن كمية من السكر ، وثياب ، وطيب وعنبر ومعها هذه الأبيات :

عنـــدَ سُـــلَيْمَانَ عَلـــى قَـــدْرِهِ ... هديّـــــةُ النّملـــــةِ مَقبُولَـــــهْ

وَيُصّـــغرُ المملـــوكُ عَـــنْ نَمْلـــةٍ ... عنـــــدَكَ وَالرّحْمَـــــةُ مَأمُولَـــــهْ

رِقّـــي لمولانـــا وَمُلكـــي لـــهُ ... وَذِمَـــتي بالشّـــكرِ مَشْغُولـــهْ

وكيـــفَ يَقضِـــي الحـــقّ ذو مِنّـــةٍ ... ضَـــعِيفَة بـــالعَجْزِ مَعْلولـــهْ

وإنّمَـــا شِـــيمَة مَـــوْلى الـــوَرَى ... طـــاهرةٌ بـــالخيرِ مَجْبُولـــهْ[1]

ويعاتب صلاح الدين في قصيدة ، عندما أرسل له عمامة ملبوسة ولغيره ثيابًا جديدة ، ومما جاء فيها قوله :

كيـفَ حُـصّ العمـادُ بـالأدْوَنِ المخْـ ... ـلَـقِ مِـنْ دُونِ عُصْـبةِ الـدّيوَانِ

أخليـقٌ مِـنْ نَسْـجِهِ لـكَ في المـد ... ـحِ جَدِيـدٌ بـأمْهَنِ الخُلقَـانِ

وَكـدَا عَـادةُ اللّيـالي تَخُـصّ الـ ... ـفاضلُ المُسْـتحَقّ بالحرْمَـانِ

لم تَـزَلْ سَـائرَاتُ جُـودِكَ بالشّـا ... مِ لديـهِ غَزيـرةَ التّهْلـانِ

فـإذَا لمْ تَـزِدْهُ مصـرُ كمَـالا ... في المُنـى فاحْمِـهِ مِـنَ النّقْصَـانِ[2]

قال شاعرنا : " فوصل إليّ من صلاح الدين عمامةمذهبة ، وكتب يعتذر عن العمامة التي قبلها "[3] .

ولم يكتف صلاح الدين بهذا الشيء ، بل أرسل أحد رجاله إلى العماد ليجبر خاطره على ما بدر منه . وحينما طلب في أبيات أخرى جارية من سبي الأسطول

(1) الديوان ص 362 .
(2) الديوان ص 410 .
(3) انظر : الروضتين في أخبار الدولتين 1 / 447 .

لم يتوان صلاح الدين في الأمر ونفذ مطلبه وهيأ له جارية جميلة وأرسلها إليه بأبهى حلة ، يقول :

يُؤَمِّلُ المملوكُ مملوكَهُ ... تَبَدُّلَ الوَحْشَةِ بالأنسِ

تُخْرِجُهُ مِنْ ليلِ وُسْوَاسِهِ ... بطلعةٍ تَشْرُقُ كالشّمْسِ

فَوَحدةُ الغربةِ قدْ حَرّكتْ ... سَوَاكنَ البلبَالِ والمسِّ

فلا تَدَعْ يَهْدِمُ شَيَطانَهُ ... ما أحكمَ التّقوَى مِنَ الأسِّ!

فوَقّعِ اليَوْمَ بِمَطلوبِهِ ... مما سَبَى الأسطولُ بالأمْسِ

لا زِلتَ وَهَابَا لما حَارَهُ ... سَيْفُكَ مِنْ حَوَرٍ وَمِنْ لَعْسِ

وإنّني آملُ مِنْ بَعْدِهَا ... كرَائمَ السّبي مِنَ القُدْسِ[1]

وقوله في الهناء بالعيد والطهور[2] :

عِيدَانِ : فطرٌ وَطُهرٌ ... فنْحٌ قريبٌ وَنَصْرُ

ذا مَوْسمُ للأمَاني ... بالنّجَحِ مُوفٍ مُبرُّ

وَذَاكَ مَوْسمُ نُعْمَى ... أخلافُهَا تَسْتَدِرّ

هذا مِنَ الصّوْمِ فطرٌ ... وذاكَ للصّوْمِ بَدْرُ

كلاهما لكَ فيهِ ... حَقّاً هَنَاءٌ وَأجْرُ

وفيهمَا بالنّهاني ... رَسْمٌ لنا مُسْتَمِرُ

طهَارَةٌ طابَ منها ... أصْلٌ وَفرْعٌ وَذكرُ

(1) الديوان ، مقطوعة 239 – 240 .

(2) في سنة 569هـ ، أمر نور الدين – رحمه الله – بتطهير ولده الملك الصالح إسماعيل يوم عيد الفطر ، واحتفلنا لهذا الأمر وغلقت محال دمشق أيامًا . ونظم العماد قصيدة بهذه المناسبة .

نَجْـــلٌ علـــى الطهْـــر نـــامٍ  زكـــا لـــه منـــك نجـــرُ
محمـــود الملـــكُ العـــا  دلُ الكـــريمُ الأغـــرّ
وبابنـــهِ الملـــكِ الصـــا  لِـــح العيـــونُ تَقـــرُ
مـــولىً بـــهِ اشْـــتَدّ للدِّيـــ  ـــنِ والشّـــريعةِ أزْرُ
نـــورٌ تَجَلّـــى عَيَانـــاً  مـــا دونَـــهُ اليـــومَ سِـــتْرُ
أضْـــحَتْ مَسَـــاعيكَ غُـــرّاً  كمَـــا أيَادِيـــكَ غـــزْرُ
وَكـــلّ قصْـــدِكَ رُشْـــدٌ  وَكـــلّ فِعْلـــكَ بِـــرُ
وإنّ حُبّـــكَ دَيْـــنٌ  وإن بغضَـــكَ كفْـــرُ
لنـــا بيُمْنَـــاكَ يُمْـــنٌ  كمَـــا بِيُسْـــرَاكَ يُسْـــرُ
وللمُـــوَالينَ نَفْـــعٌ  وللمُعَـــادِينَ ضُـــرُ
وللسّـــمَاءِ سَـــحَابٌ  وَسُـــحبُ كفّيـــكَ عَشْـــرُ[1]

يحتفل شاعرنا بعيدين هما : عيد الفطر وعيد الطهور ، وكلاهما فيه لممدوحه أجر وهناء وسرور ، فإن مساعيك أصبحت مغرورة ، وأياديك كثيرة ويستعمل الشاعر التضاد ؛ ليبين لنا قيم الممدوح مثل : (حب – بغض) ، (دين – كفر) (يمين – يسر ) ، ( موالين - معادين ) ، ( نفع – ضر ) ، فقصده رشد وفعله بر وإحسان ولديه من السحب عشر ، وهذا يدل على كرم ممدوحه وسخائه .

ومن ألغازه أيضًا قوله في اسم بلق :

اســـمُ مَـــنْ قـــدْ رَكـــبَ الأبلـــقُ  كـــي يَتَعَـــدّى ظـــاهرٌ في فرَسَـــهْ

(1) الديوان ص 173 – 174 .

وَهُـوَ قلـبُ القلـبِ أبعَـى قلبـهُ فأنـا مِـنْ أجـلٍ ذا في هَوَسَـهْ
وَمَتَـى أسْـكُنُ في جَنّتِـهِ مُسْـتَمِداً رِيحُهـا مِـنْ نَفَسِـهْ[1]

ومن إخوانياته قوله في " ابن الفرّاش " وإن كان فيها بعض العتاب :

العـيشُ دانٍ جنـاهُ الغـضُّ عندَكُـمْ والقلـبُ محـترقٌ منّـي بجمـرِ غَضَـا
مـا كنـتُ أعْهَدُ منكُمْ ذا الجفـاءَ ولا حسـبتُ أنَّ وِدَادِي عِنْـدَكُمْ رُفِضَـا
فَقَـدْ أظلـمَ الأُفـقُ في عَـيْني لِغَيْبَتكُـمْ فإنْ أدَنْتُ لِشَخْصِي في الحضورِ أضَـا
ولسـتُ أولَ صَـبّ مَـنْ أحَبّتُـهُ لما جَفُوا مـا قَضَى أوْطـارهُ وَقَضَـى
مُـروا بمـا شِـئْتُمُ مِـنْ محـنةٍ وأذىً فَقَـدْ رأيـتُ امْتِثـالَ الأمـرِ مُعْتَرضَـا
طوبى لكمُ مصرُ والدَّارُ التي قُضَيتْ فيهـا المَـآربُ والعـيشُ الـذي حُفِضَـا
بِعَيْشَـكمُ إنْ حَلَـوْتُمْ بانْبِسَاطكـمُ تَـذَكرُوا ضَـجْرَاً بـالعيشِ مُنْقَبِضَـا[2]

وقوله في صديقه ببغداد " علم الدين أبي الحسن علي بن إسماعيل الجوهري " المعروف بالركابدار " حيث إنه جامع شمل المحبين بعد التفرق ، ويتمنى أن يقضي مع أفضل الأيام ، فهو من أفضل أصدقائه بالعراق ، وطيب الأصل ، ويدعو له بطول البقاء وعدم البعد عنه :

جـامعُ الشَّمْـلِ بعـدَ طُـولِ الفُـرَاقِ للمُحِـبينَ كافـلٌ بالتـلاقِ
وَلعَـلّ الأيـامَ تَسْـمَحُ بالوَصْـلِ وَتَقضِـي لُبَانـةَ الُمُشْـتَاقِ
يـا أخلائـي الكـرَامَ المضَاهيـ ـنَ بطيـبِ العُـروقِ طيـبَ العِـرَاقِ
يـا صَبُـوراً على الصّـبابةِ بَعْـدِي لـكَ طـولُ البقـاءِ مَـا أنـا بَـاقِ

(1) البلق : سواد وبياض الدابة أو اسم فرس كان يسبق مع الخيل ، انظر: الديوان ص241.
(2) الديوان ص 261 .

فـأحِرْني مِـنَ النّـوَى بالتّـلاقي وارْثِ لي إذْ لاقيتَ مَا أنـا لاقِ[1]

وله دوبيت يقول فيه :

مـا أحْجَلّـني وَقـدْ أتـتني الكتـبُ تَشْكو وَتَقـولُ:إنهـمْ قـدْ عَتَبُـوا

هُـمْ أهـلُ مَـوَدّتي رَضُـوا أم غَضَـبوا مـا أعظـمَ زِلّـتي إذا لم يَهَبُـوا[2]

ومن إخوانياته قوله في صديقه " علم الدين الشاتاني "[3] :

كنـتَ أخـاً إنْ جَفـا الزَّمـانُ وَفَـى أوْ قطـعَ الـوُدَّ أهلُـه وَصَـلا

إن أظلمـتْ حُطَّـةٌ أَضـاء لنـا أو ظلـمَ الخَطْـبُ جـائراً عَـدَلا

رَفيـقُ رِفْـقٍ لنـا اذا عَنُـفَ الـدَّ هْـرُ وحَـلاً يُسَـدِّدُ الخَلـلا

صـديقُ صِـدقٍ مـا زالَ إن كـدَبَ السُّـعاة للأصـدقاء مُحتَمِـلا

فمـا الـذي كـدَّرَ الصـفاءَ مِـنَ الـ ودِّ ولم يُـرْوِ وِرْدُه العُلَـلا

فضـلُكَ روحُ العُـلا وهـل بـدَنٌ مِـنْ روحـه الـدَّهرِ واحِـدٌ بـدلا

عَـدِّبْ بمـا شـئتَ مِـنْ مُعاتبـةٍ أمّـا بهـذا الهَجْـرِ المُمِـضِّ فـلا

في العُمْـرِ ضِيـقٌ فَصُـنْهُ مُنْتَهِـزاً في سـعةِ الصَّـدرِ فُرْصـةُ العُقـلا

يطلب الشاعر من صديقه أن يصل الود بينهما ، فهو الرفيق الذي عندما يعنف ويخل الدهر يسد الخلل ، وهو الصديق الصدق الذي لا يكذب على صديقه ويتساءل ما الذي عكر الصفاء بيننا ؟ فإن فضلك هو روح العلى ، فهل من ضخامة

(1) الديوان ص 315 .
(2) الديوان ص 77 ، وله دوبيت آخر ص 240 .
(3) الديوان ص 326 – 327 ، وانظر: ص 328 – 329 - 418 .

روحه وجد بديلا ؟ عذبني كما يحلو لك من المعاتبة فهي أفضل من هجرك الممض فصن العمر فإن فيه ضيق وانتهز فرصة العقلاء .

وقوله في صديقه القاضي الفاضل :

أُســـــائلُ الرّكـــــبَ عـــــنكم وأنـــــــتم في فُـــــــؤادِي
وَقـــــفٌ عَلـــــيكُمْ طريفـــــي في حُـــــــبّكمْ وَتَـــــلادِي
تَصَـــــبُّري في انْتِقـــــاصٍ وَلـــــوْعَتي في ازْدِيَـــــادِ
قـــــالوا: مُـــــرَادكَ مـــــاذا؟ فقلـــــتُ: أنـــــتمْ مُـــــرَادِي
مـــــا بـــــالكمْ لـــــم تَلِبّـــــوا وَقـــــدْ سَـــــمِعْتُمْ أُنَـــــادِي
وَكـــــمْ لكـــــمْ مِـــــنْ أيـــــادٍ لم أنْسَـــــــــهَا وَأيَـــــادِ
يـــــا مـــــالكي الـــــرِّقِ رِقـــــوا فقـــــدْ مَلّكـــــتُمْ قيـــــادِي[1]

ويقول عنه في قصيدة أخرى ، لا يستطيع الاستغناء عنك ، فالدهر كل ليل في ناظري إلا وجهه الجميل فهو الصبح ، ولو خيروني بين الموت والفراق لاخترت الموت فهو عندي أسهل ، فهو حاضر في فكري وقلبي ، وفي خاتمتها يقول : لا صبر عندي ولا قلب ، ولا تغمض عيوني ، ولا علم لي بالفرقة :

لاصبرَ لي، لاقلبَ لي، لاغمضَ لي لا علمَ لي بالبينِ ماذا أفعلُ؟

(1) الديوان ص 127-128 .

إنْ تدْهَلـــوا عنّـــي فـــإني ذاهـــلٌ  بهَـــوَاكمْ عَـــنْ ذِكـــرِكمْ لا أدْهَـــلُ[1]

ومـن إخوانياتـه أيضًـا : مـا كتبـه للقاضـي ضـياء الـدين القاسـم بـن يحيـى الشـهرزوري[2]، والقاضـي عمـر بـن الحسـن بـن أحمـد الباسيسـي الملقـب " بجمال الإسلام "[3] .

كـان شـاعرنا وثيـق الصـلة بـين أهلـه وأصـدقائه ورؤسـائه ، فقـد حـاول في إخوانياتـه وهـي كـثيرة أن يولـد الصـور ، ويرسـل المـداعبات ، ويطلـق الأمـاليح والألغـاز ، ويتخـذها وسيلة للتسلية والتفكر ، كي تكون لطيفة مستساغة ، وظريفة لدى المتلقي

## أغراض أخرى :

أما بقية الأغراض الأخرى التي تحدث فيها العماد ، فهي لا تمثل نسبة كبيرة من شعره وسوف نتناولها معا ، **فمن هذه الأغراض:**

**الحكمة ، والشيب ، وشكوى الحال ، والنصح ، والحرقة واللوعة .**

**أولاً : الحكمة :**

جاءت قليلة بالديوان ، فمن حكمياته أن يطلب من الإنسان الإقناع وعدم الطمع ، كما في قوله :

اقنـــعْ ولا تَطْمَـــعْ فـــإنّ الفَتَـــى  كمـــا لُـــهُ في عِـــزّةِ الـــنّفْسِ

(1) الديوان ص 339 وانظر: ص 208-209 .
(2) الديوان ص 95 .
(3) انظر الديوان ص 140– 141– 142 .



opelikan.com

وإنّمَـــا يَنْقـــصُ بَـــدْرُ الـــدّجَى  لأخـــذِهِ الضّـــوءَ مِـــن الشّـــمْسِ[1]

وقوله إن الأيام ما هي إلا صحائف تؤرخ فيها حياة الإنسان ثم تمحى والعمر فيها ضيق :

ومـــا هـــذه الأيـــامُ إلاّصَـــحَائفٌ  يُـــؤَرّخُ فيهـــا ثـــمّ يُمْحَـــى ويُمْحَـــقُ

ولم أرَ في دَهْـرِي كدَائـرَةِ  المُنـى  تُوَسِّـعُها الآمَـالُ والعُمْرُضِـيقُ[2]

**ثانيًا : الشيب :**

بكى العماد شبابه وتحسر عليه في مقطوعات صغيرة بالديوان ، فيرى أن شيب المرء صار لونه كلون الغبار ، كما في قوله :

ومـــا مشـــيبُ المـــرءِ الاّ غُـــبْرَةً  تَعَلّقـتْ مِـنْ ركـضِ عُمْـرٍ قَـدْ غَبَـرْ[3]

ويرى أيضًا أن زمن الشباب تولى وذهب ، وأتى زمن الشيب كالصبح المتألق فمن كثرة الركض تلطخ بالغبار ، وذلك في قوله :

ليـــــلُ الشّـــــبَابِ تَـــــوَلّىّ  والشَّـــــيْبُ صُـــــبحٌ تَـــــألقْ

مَـــــا الشّـــــيْبُ إلاّ غُبَـــــارٌ  مِـــنْ رَكـــضِ عُمْـــرِي تَعَلّـــقْ

رَكبـــــتُ لمـــــا تَكهّلْـــــ  ـــــتُ بعـــــدَ أدْهَـــــمَ أبلَـــــقْ

وضَـــــاعَ مفتـــــاحُ وَصْـــــلَ الـــــ  حســـــانِ فالبَـــــابُ مُغْلَـــــقْ

ولا حِرَامـــــــي وَثِيـــــــقٌ  ولا عَنَـــــــاني مُطْلَـــــــقْ[4]

وقوله :

أصُـــدُوداً ولم يَصُـــدُّ التَصّـــابي  ونفـــاراً ولم يَرُعْـــكَ المشّـــيبُ

(1) الديوان ص 240 .
(2) الديوان ص 313-314 .
(3) الديوان ص 151 .
(4) الديوان ص 313 .

وكتـــابُ الشَّـــبابِ لم يَطْـــوِّهِ الشّـــ ـــيـــبُ ولامَـسَّ نَقْشَـهُ التَّتْرِيـبُ[1]

**ثالثا : شكوى الحال :**

كـــان العمـــاد رقيقـــاً في بـــث شـــكواه ، يـــدعو إلى لم الشـــمل ، والمحافظـــة على العلاقات والمعاملات . فكانت شكواه مخرجًا له ، يبث فيها همومه ومتاعبه في دنيا الأقارب والأصدقاء ، وضياع كتبه ومحاربة الدهر له ، وإنكار المعارف له كما في قوله إلى القاضي الفاضل :

دمشـــــقُ تقصـــــدُ عَظمـــــي بِعَرْقـــــــــةٍ أيِّ عَرْقـــــــــهْ

إخفاقُـــــــــهُ لرَجَـــــــائي فيهـــــا وللقلـــــبِ حَفَقَـــــهْ

أقمـــــتُ فيهـــــا وَحِيـــــداً كالـــــدِّرِّ ضَـــــمّنْهُ حُقّـــــهْ[2]

وقوله في طلب كسوة :

يـــا فـــلانَ الـــدِّينِ يَـــا مَـــنْ مَجْـــدُهُ بـــالجودِ مُجْـــدِ؟

أنـــا قـــدَمْتّ مِـــن الـــبرْ دِ فكفّنّـــي بِبُـــرْدِ[3]

وقوله في كتبه :

هـي كُـتبي فلـيسَ تَصْـلحُ مِـنْ بَعْـ ـــدي لغـيرِ العَطـارِ والإسْـكَافي

هـــي إمّـــا مِـــزاودٌ للعَقَاقيـــ ـــرِ وإمّـــا بَطـائنٌ للخَفّـافِ[4]

وقوله إلى مصر :

احْمَـلْ إلى مصـرَ ومَـنْ يلـتَمسْ غنـــاهُ في غرْبَتـــهِ يحمـــلِ؟

كتـــابتي قـــدْ كسَـــدَتْ سُـــوقُها وحِلـــيتي بَـــارتْ ولم أعْضِـــلِ[5]

---

(1) الديوان ص 76 – 77 .
(2) الديوان ص 140 .
(3) الديوان ص 300 .
(4) الديوان ص 354 .
(5) الديوان ص 298 .

وهو على فراش الموت :

أنـــا ضيـــفٌ بِرَبعَكُـــمْ أيـــن أيـــنَ المضِّيـــفُ؟

أنكرَتْـــني مَعَـــارِفي مَـــاتَ مَـــنْ كنـــتُ أعـــرفُ؟[1]

وهو يناجي ربه :

يـــاربِّ حَتّـــامَ أعَـــاني الهـــوى في ذنـــبِ( ذا ) المغـــربِ لا أرتقـــي

غـارتْ فَـيَ الشّـمْسُ فمِـنْ أجـلِ ذا لم تُـــبْقِني أطلـــعُ في المشْـــرِقِ

**رابعًا : النصح :**

دارِ غـيرَ اللّبيـبِ إنْ كنـتَ ذا لُـــ ـــبِ ولاطفـهُ حـينَ يـأتي بحـذْقِ

فـأخو السّـكرِ لا يُخَاطبـهُ الصّـا حـي إلى أنْ يُفيـقَ إلاّ برِفْـقِ[2]

ومن نصائحه قوله :

تَحَسّـــنْ بأفعالـــكَ الصّـــالحاتِ ولا تُعْجَـــبَنّ بِحُسْـــنِ جَلِيـــلِ

فَحُسْـنُ النِّسَـاءِ جَمَـالُ الوجـوهِ وَحُسْـنُ الرِّجـالِ وجـوهُ الجميـلِ[3]

**خامسًا : الحرقة واللوعة :**

في فُـــؤَادي نـــارُ وَجْنَتـــه وبجســـمي سُـــقْمُ مُقلتِـــهِ

صَـــارَ قلـــبي فيـــهِ مُحْتَرِقـــاً آهٍ مِـــنْ قلـــبي وحُرْقتِـــهِ[4]

وهكذا تجلت قدرة العماد في أغراضه الشعرية المختلفة ، فكان شعره المديحي هو الأكثر انتشارًا بالديوان كما أوضحنا ، أما أغراضه الشعرية الأخرى وإن كانت قليلة فجاءت في بيت أو بيتين ، ونجح في توظيفها داخل الديوان ؛ لتخدم النص الشعري وتجربته الشعرية .

---

(1) الديوان ص315. ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها الوزن والمعن
(2) الديوان ص314
(3) الديوان ص354
(4) الديوان ص98